مع الإشارة إلى إن الحصول على الإستقلال لا يعني بالضرورة وجود أحزاب من أجل تحقيق ذلك. حيث يلاحظ إن الكثير من دول العالم الثالث حصلت على الإستقلال نتيجة لجهد عسكري صرف بقيادة مجموعة من الضباط. مثال ذلك ما حصل في مصر سنة ١٩٥٢ والعراق سنة ١٩٥٨ وكذلك في الكثير من أقطار أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر (١).

أما بخصوص نشأة الأحزاب في الوطن العربي فيلاحظ إن بعضها نشأ متأثرا بالطريقة البرلمانية في حين نشأ البعض الآخر بغية الخلاص من السيطرة الأجنبية. ومن الأحزاب التي أقيمت وفقاً للطريقة الأولى (حزب الحرية والإئتلاف العثماني) والذي أسس من قبل كتلة النواب العرب في البرلمان التركي(٢). وكذلك يمكن إعتبار بعض الأحزاب العراقية ذات أساس برلماني (كحزب التقدم) ألذي أسسه عبد المحسن السعدون سنة ١٩٢٥ . و(حزب الشعب) ألذي أسسه ياسين الهاشمي في تشرين الثاني ١٩٢٥ . وحزب (العهد العراقي) الذي أسسه نوري السعيد في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ وحزب (الأخاء الوطني) الذي أسسه المعارضون لسياسة نوري السعيد في البرلمان في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠. وحزب (الوحدة الوطنية) الذي أسسه علي جودت الأيوبي في كانون الأول سنة ١٩٣٤(٣).

أما الأحزاب التي أقيمت لغرض التحرر من الهيمنة الأجنبية فكانت متعددة. منها على سبيل المثال (الحزب الوطني) في مصر والذي تأسس سنة ١٨٨١ بزعامة أحمد عرابي وكان يسعى للخلاص من الإستعمار البريطاني ومقاومة النفوذ الأجنبي(٤). وحزب (تونس الفتاة) في تونس والذي تأسس سنة ١٩٠٧ وكان من أهم أهدافه التحرر من الإستعمار الفرنسي وإجراء إصلاحات دستورية (٥). وكذلك (الحزب الحر الدستوري) في تونس الذي تأسس سنة ١٩٢٠ بزعامة عبد العزيز الثعالبي وكان يدعو إلى الإستقلال والخلاص من الهيمنة ألفرنسية(٦).

وبعد بيان الظروف التي نشأت فيها الأحزاب السياسية إتضح لنا بجلاء تباين تلك الظروف والعوامل من بلد لآخر. فالبلدان التي كانت تنعم بالتقدم والإستقلال ووجود المؤسسات الدستورية وبالأخص البرلمان لاحظنا إن ظهور الأحزاب السياسية فيها إرتبط إلى حد كبير

---

١ د.صالح جواد الكاظم،مصدر سابق،ص٩٩.

٢ د.شمران حمادي،مصدر سابق،ص٩.

٣ ومن الجدير بالملاحظة إن الاحزاب السياسية المشار إليها أقيمت لإعتقاد الساسة العراقيين حينذاك (أن تكون للهيئات الحاكمة احزاب سياسية. تستند الوزارة إلى أكثريتها الممثلة في المجلس. في تمشية أعمالها وإقرار قوانينها) إنظر عبد الرزاق الحسني. تاريخ العراق السياسي الحديث . مطبعة دار الكتب. بيروت. الجزء الثالث. سنة ١٩٧٥،ص٢١٠. ويلاحظ على تلك الأحزاب إنها لم تعمر طويلا. إذ في الغالب يختفي الحزب عندما يفشل زعيمه في الحصول على الأغلبية البرلمانية وهذا ما حصل لحزب (الوحدة الوطنية) عندما إستقال علي جودت الأيوبي في آذار سنة ١٩٣٥.راجع الحسني .المصدر السابق،ص٢١٣. وأنظر في تاريخ هذه الأحزاب عبد الجبار حسن الجبوري. الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨ دار الحرية للطباعة،بغداد١٩٧٧. وكذلك فائق بطي. صحافة الأحزاب وتاريخ الحركة الوطنية. مطبعة الأديب بغداد . ١٩٦٩ص١٤ وما بعدها.

٤ وتعتبر الجمعية السرية لضباط الجيش نواة تكوين الحزب الوطني. إنظر في تفاصيل ذلك . جاكوب لاندو . الحياة النيابية والأحزاب في مصر ١٨٦٦-١٩٥٢. ترجمة سامي الليثي. القاهرة . مكتبة مدبولي. ص٨٢ وما بعدها.

٥ د.صالح جواد الكاظم. مصدر سابق،ص٩٧. د.شفيق السامرائي. الأحزاب السياسية في تونس. مجلة العلوم السياسية الصادرة عن كلية العلوم السياسية جامعة بغداد. العدد السابع. حزيران . ١٩٩٠،ص٧.

٦ د.شفيق السامرائي،نفس المصدر،ص٨.

بوجـود المجالـس النيابية وإنتخـاب أعضائها . ولكـن دون إغفال دور المنظمـات الإجتماعية في المسـاعدة على قيام الأحزاب. ونقصد بذلـك النقابات والجمعيات الثقافيـة والدينية. وهذا ما ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الاوربية. في حين يلاحظ إن معظم الدول التي كانت ترزح تحت الهيمنة الإستعمارية والتخلف السياسي والإقتصادي أو في ظل أنظمة إسـتبدادية. إن الأحزاب التي نشأت فيها كان هدفها التخلص من الهيمنة الإستعمارية أو من النظم الإستبدادية.بعيدة عن الإسلوب البرلماني أو اللجان الإنتخابية لعدم وجودها في معظم تلك الدول.

المبحث الثاني
عناصر الحزب

يقـوم الحـزب على عدد من العناصـر تختلف في مدى أهمية كل منهـا من حزب لآخر. ومن الصعـب القول بوجود حزب ما(وفق المفهوم الحديث للحزب السياسـي) إذا ما تخلف احد هذه العناصـر. ويمكن حصـر هذه العناصر بثلاثة هي :- العضوية. التنظيـم والآيديولوجية (الرؤوى المشتركة) وسنتناولها تباعا وفي ثلاثة مطالب.

المطلب الأول
العضوية

ذكرنـا إن الحزب جماعة مـن الأفراد تتمثل بعـدد من الأعضاء ينتمون للحزب. وهم أسـاس وجوده ومن مقومات إسـتمراره. حيث لا وجود للحزب دون أعضاء منتمين إليه. ينفذون خططه وبرامجـه.و بصرف النظر عـن مقدار عددهم قلوا أم كثروا. ولكن مـن الأفضل والمفيد أن يكون عددهم كافيا لإدارة شـؤون الحزب وتغطية نشـاطاته. مع ملاحظة تباين الأحزاب في مسـألة السـعي لزيادة عدد الأعضاء فيها. فالأحزاب الهيكلية لا تميل إلى زيادة عدد أعضائها إلى أكثر مما يتطلبه الهيكل العام للحزب.في حين إن الأحزاب الجماهيرية تتجه عكس ذلك[1].

ومـن الجدير بالملاحظة إن الأعضـاء المنتمين للحزب ينحدرون في الغالـب من طبقة أو فئة معينة في المجتمع كإنحدارهم من الطبقة العاملة او الفلاحية او البرجوازية.

وقـد يوصف الحزب تبعا لذلك بانه حزب طبقة او فئة. ومن ثم يسـعى للتعبير عن مصالح تلك الطبقة واهدافها. ولكن من الصعوبة بمكان ان يستطيع (حزب الطبقة) وخاصة في الدول ذات الكثافة السـكانية أن يسـتوعب تلك الطبقة إسـتيعابا كاملا لتعذر ذلك. من الناحيتين العمليـة والتنظيمية[2]. فلا يتصور مثلا أن يسـتوعب حزب فلاحي في الصين جميع الفلاحين الذين يصل عددهم إلى مئات الملايين. ولذلك يلاحظ إن الأحزاب الجماهيرية وإن تسعى إلى زيادة

---

١ د.شمران حمادي.مصدر سابق.ص٢٩.

٢ د. صالح جواد الكاظم.مصدر سابق.ص١٠٢.

عدد الأعضاء إلا إنها تضع ضوابط صارمة لمنح العضوية فيها[1].

وإذا قلنا بوجود أحزاب طبقية أو فئوية، فلا يعني ذلك إنها لا تقبل أعضاء من خارج طبقتها أو فئتها، إذ سبق وأوضحنا إن الحزب جماعة منظمة ذات أهداف سياسية ولها رؤوى وأفكار متفق عليها من قبل تلك الجماعة وبالتالي لا يشترط أن ينحدر جميع أعضاء الحزب من طبقة أو فئة إجتماعية واحدة. ويمكن تصور إنتماء أفراد من الطبقة البرجوازية إلى أحزاب الطبقة العاملة أو العكس إذا كانوا مؤمنين بمبادئ ورؤوى تلك الأحزاب.

هذا ويلاحظ إن مفهوم العضو في الحزب يختلف بإختلاف الاحزاب، فلا يمكن أن يتطابق مفهوم العضو لدى الأحزاب الليبرالية (كالأحزاب الأمريكية مثلا) مع مفهومه لدى الأحزاب الجماهيرية (كالأحزاب الشيوعية والإشتراكية).

فالأحزاب الأمريكية لا تهتم بالناحية الشكلية للإنتماء، حيث لا تشترط التوقيع على بطاقة الإنتماء للحزب او دفع بدل الإشتراك بصورة منتظمة، لأن نشاط هذه الأحزاب يقتصر على التحضير للإنتخابات والسعي للفوز فيها.

أما التمويل المالي لها فيعتمد على الهبات والمساعدات المالية التي تقدم من قبل المؤيدين لسياستها والمنتفعين منها من كبار أصحاب رؤوس الأموال والشركات والبنوك.

وعلى عكس هذا الإتجاه تسير الأحزاب الجماهيرية، إذ إنها تتمسك بالجانب الشكلي للإنتماء حيث يجب على المنتسب التوقيع على بطاقة الإنتماء وهي عبارة عن نموذج يتضمن تعهداً يفيد بتقيد المنتسب بنظام الحزب ونشر مبادئه فضلا عن وجود حقول أخرى تتضمن معلومات شخصية عن المنتسب كالإسم وتاريخ الميلاد والعنوان والمهنة.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تعريف العضو الحزبي وفقا لمفهوم الأحزاب الهيكلية إنه (الشخص الذي يؤيد سياسة الحزب وأفكاره لإعتقاده بصوابه وهذا ما يدفعه لإعطاء صوته إلى مرشحي الحزب في الإنتخابات). في حين إن تعريف العضو الحزبي وفقا لمفهوم الأحزاب الجماهيرية يكون أضيق من ذلك حيث يمكن تعريفه إنه (الشخص الذي ينتمي إلى الحزب ويؤمن بصواب مبادئه وأفكاره ويدفع بدل الإشتراك بصورة منتظمة. وحصل على صفة العضوية بعد توافر شروطها فيه وفقا لما يقرره النظام الداخلي للحزب).

هذا ومن الجدير بالذكر إن الأحزاب الجماهيرية لا تمنح صفة العضوية إلى كل شخص إنتمى إليها بشكل مباشر وإنما هناك مراحل يجب أن يجتازها وهي مرحلة المؤيدين . الأنصار . الترشيح للعضوية وبعد إجتياز مرحلة الترشيح يصبح عضواً متدرباً ولا ينال صفة العضو العامل إلا بعد إجتياز فترة الإختبار التي تحدد وفقاً للنظام الداخلي للحزب. والأعضاء العاملون في الحزب هم الذين يتمتعون بكامل حقوق العضوية . حيث يحق لهم الإشتراك في الإنتخابات الحزبية والترشيح للمراكز القيادية[2].

---

١ يرى (لينين) إنه لا يتوجب على الحزب أن يضم كل الطبقة العاملة . وإنه معها الجناح السائر والطليعة المتقدمة فقط، والقسم الأكثر وعياً ويذهب (ديفر جيه) إن ذلك ليس مفهوم الحزب-الطبقة وإنما مفهوم الحزب- النخبة .أنظر ديفر جيه، مصدر سابق، ص٨٥.

٢ د.شمران حمادي،مصدر سابق ، ٥٤.

المطلب الثاني
التنظيم الحزبي

يعد التنظيم الحزبي من العناصر الجوهرية والمهمة لغرض بناء الحزب وديمومته. ولا يمكن إنكار وجود عنصر التنظيم لدى أي حزب سياسي في الوقت الحاضر. لأن الحزب الذي يفتقر إلى التنظيم لايمكن إعتباره حزبا سياسيا وإنما يعد جماعة من الجماعات ذات المصلحة الخاصة كجماعة الضغط مثلاً [1].

ومهمة التنظيم تتركز في البناء الداخلي للحزب من حيث بيان شروط ألإنتماء للحزب وألإلتزامات التي تترتب على المنتمي وكيفية عقد المؤتمرات الحزبية وإختيار قادة الحزب والضوابط التي تنظم العلاقات بين القواعد والقيادة وكيفية إتخاذ القرارات. ومع القول بأهمية عنصر التنظيم لأي حزب سياسي إلا إن تلك الأهمية تختلف من حزب لآخر. ففي حين تعطي الأحزاب الجماهيرية أهمية بالغة للتنظيم . حيث تعد (مسألة التنظيم مسألة عملية أساسية بالنسبة للحزب . وشرط لا غنى عنه لعمله الواقعي) [2]. ذلك لأنه (أي الحزب) لا يسعى إلى التأثير بالجماهير وإقناعهم بأفضلية مبادئه وأفكاره فحسب . وإنما يسعى إلى توسيع قاعدته الجماهيرية من خلال كسب أكبر عدد ممكن من الأفراد وضمهم إلى صفوفه. وهذا لا يتأتى إلا من خلال عمل منظم ودقيق لكل جهاز الحزب. مما يوجب إلتزام كل المنتمين بتوجيهات الحزب . وإن إقتضت الضرورة إلزامهم بذلك من خلال إشاعة مبدأ ألإنضباط الحزبي . حيث يتعرض المنتمي إلى المساآلة داخل التنظيم في حالة إخلاله بالمهام التي يكلف بها. وقد يطرد من الحزب وذلك تبعاً لجسامة الخطأ الذي يرتكبه ووفقاً للآلية التي يرسمها النظام الداخلي للحزب [3].

وعكس ما تقدم نجد الوضع في الأحزاب الهيكلية . حيث لا تولي التنظيم أهمية كبيرة لأنها لا تسعى إلى ضم الأفراد إلى صفوفها بقدر ما تسعى إلى إقناعهم بأفضلية مبادئها وأفكارها ومن ثم ضرورة تأييد مرشحيها في الإنتخابات.

هذا ومن الجدير بالذكر إن الأحزاب السياسية تصنف وفقاً للبناء التنظيمي لها إلى أحزاب مركزية . لا مركزية وعمودية . ففي الأحزاب المركزية تكون قيادة الحزب هي صاحبة الكلمة العليا في إتخاذ القرارات وتتضآل مساهمة القيادات الدُنيا او القواعد ويتجلى ذلك في الأحزاب ألأيديولوجية . في حين نجد إنّ للقيادات المحلية او القواعد دور واضح في إتخاذ القرارات بالنسبة للأحزاب اللامركزية . ومثالها الأحزاب الليبرالية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

---

١ د.صالح جواد الكاظم . مصدر سابق . ص١٠٦.

٢ جورج لوكاش . في التنظيم الثوري. مصدر سابق . ٤٣.

٣ مثال ذلك ما تنص عليه المادة الرابعة من دستور الحزب الشيوعي الصيني لسنة ١٩٦١. حيث تنص على إن (منظمات الحزب من جميع المستويات تتخذ في حدود صلاحياتها . وحسب الأحول المحددة . إجراءات إنضباطية إزاء العضو الحزبي الذي خرق ألإنضباط الحزبي . وألإجراءات ألإنضباطية هي ألإنذار . ألإنذار الشديد. التنحية عن المناصب الحزبية . وضع العضو المخالف تحت المراقبة داخل الحزب. ثم الطرد من الحزب).

أمـا الأحزاب القائمة على صـلات عمودية فإنها تعتمد في العلاقة بـين القيادات والقواعد على نظام إنضباطي متشـدد شـبه عسـكري . وتقوم هذه الأحزاب على أسـاس الإيمان شبه المطلـق بالقيادة (النخبة أو الفـرد) ومن ثم تكون للقيادة الهيمنة المطلقة على قواعد الحزب. مثالها الأحزاب الفاشية ([1]).

المطلب الثالث
الأيديولوجية

تعـرف الأيديولوجية بكونهـا (حصيلة فكرية تقوم على تصوير شـامل للوجود . أي لما هو كائـن وما سـيكون . وتنبثق مـن مجموعة من العقائد والقيم المتصلـة بتراث حضاري معين . فترسم إطار حركة جماعة معينة . وتحدد لها معالم أهدافها)([2]).

فالأيديولوجية هي التي تمد الجماعة بالحركة والديناميكية تحقيقاً لما سيكون . كما إنها في ذات الوقت تشكل سنداً لتبرير ما هو كائن . ومن هنا تنشأ العلاقة بين الأيديولوجية والسلطة السياسية . فالسلطة في جوهرها طاقة في خدمة فكرة يعتنقها صاحب السيادة في الدولة ويعمل على تحقيقها([3]).

وتأسيسـا على ما تقدم نسـتطيع القول بأهمية وجود أيديولوجية لدى أي حزب سياسي حيث تكون المرشد له في تحقيق أهدافه عند وصوله إلى السلطة . وهذه الأيديولوجية هي التي تميز بين الأحزاب أيضاً وهي العامل الحاسم في تحديد إختيار الأفراد لهذا الحزب أو ذاك إيماناً منهم بتلك الأفكار والقيم التي يسعى الحزب إلى تحقيقها.

ومع القول بأهمية وجود الأيديولوجيا لدى أي حزب سياسـي إلا أن الواقع يؤشر لنا إن هناك أحـزاب لا تولي هذا الموضـوع أهمية كبيرة . ولذلك ذهب بعض الكتـاب إلى التمييز بين أحزاب الأيديولوجيا وأحزاب المساومة أو الرأي . فحزب الأيديولوجيا هو الحزب الذي له إطار نظري يضم أفكاراً وقيماً ومفاهيماً سياسـية محددة يفسر بموجبها جميع أوجه الحياة المختلفة للمجتمع ومـن خلال هذا الإطـار النظري يحدد الحزب سياسـته إزاء تلك الأوجه (إجتماعية . سياسـية . إقتصاديـة) وكـذلـك إزاء الأحزاب السياسـية الأخرى. أما أحزاب المسـاومة أو الرأي فهي تلك الأحزاب السياسية ألتي لا تملك أيديولوجيا واضحة وإن كان لها أفكار وقيم ومفاهيم . إلا إنها

---

١ إنظر ديفر جيه . مصدر سابق. ص٦٩ وما بعدها . د.صالح جواد الكاظم. ص١١.

٢ د.إسـكندر غطاس.أسـس التنظيم السياسي في الدول الإشـتراكية. القاهرة.١٩٧٢.ص٢٧. هذا ومن الجدير بالذكر إن معنى الأيديولوجية لم يكن ثابتاً منذ أول إسـتخدام له في القرن الثامن عشـر من قبل الفيلسـوف الفرنسـي الويس كلـود للدلالة على (علم دراسـة المعاني). إذ أصيب هذا المعنى بتشـويه في عهد (نابليـون بونابرت) وذلك لمعارضة رجال هذه المدرسة (مدرسة المذهب الحسي) لحكم نابليون. فأطلق عليهم نابليون وصف رجال الأيديولوجيا تعبيراً عن سخريته بإعتبارهم رجال ثرثرة فكرية عقيمة وخاوية المعنى فإنسـحبت هذه السـخرية على مصطلح الأيديولوجيا الذي أضحى يرادف معنى التحليل الأجوف العقيم.إلا إنه منذ منتصف القرن التاسـع عشـر دبت الحياة من جديد في هذا المصطلح فشـاع إسـتخدامه لـدى العديد من المفكرين ومنهـم (ماركس وإنجلز) وظل دائمـاً إلى اليوم. راجع في ذلك. د.إسـكندر غطاس. مصدر سابق. ص٢٦. و هنري إيكن.عصر الأيديولوجيا . ترجمة محيي الدين صبحي . دمشق ١٩٧١.ص ص ٩-٢٤. د. شمران حمادي. مصدر سابق.ص١٦٦ وما بعدها.

٣ د.إسكندر غطاس.مصدر سابق.ص ٢٧.